عضو الأكاديمية الفرنسية لبّت دعوة مؤسسة ميشال شيحا واليسوعية

هيلين كارير دانكوس تحاضر عن الديموقراطية في روسيا: شعب فضّل السلم الأهلي على تصفية الحسابات

لبت العضو الدائم في الاكاديمية الفرنسية هيلين كارير دانكوس دعوة مؤسسة ميشال شيحا وجامعة القديس يوسف فحاضرت السبت في قاعة بيار ابو خاطر كرم العلوم الانسانية في الجامعة عن "جذور الديموقراطية في روسيا".

وفي كلمة المؤسسة، وجّه الشكر الى كارير دانكوس على تلبيتها الدعوة وترحيبها بالتوجه الى جمهورها اللبناني الذي لا يسعه الا ان يستفيد من خبرة الشعوب كافة في مسيرة الديموقراطية، خاصة في الظروف الصعبة التي يمر بها اليوم.

بعد الوقوف دقيقة صمت على روح الشهيد الزميل سمير قصير، بدأت كارير دانكوس كلمتها بتوضيح اهمية التحدث عن روسيا في لبنان فقالت "روسيا ليست نموذجا ديموقراطيا بل خبرة تغني جميع البلدان خاصة تلك التي تسير على طريق الديموقراطية او تحاول المحافظة على هذا النظام".

وركزت في مداخلتها على ثلاثة اسئلة - محاور: ما هي جذور الديموقراطية الروسية؟ كيف بنت روسيا ديموقراطيتها بعد النظام التوتاليتاري؟ وما الصعوبات التي تواجه الديموقراطية الروسية اليوم؟ وقالت: "من غير الصائب ولا المنصف ان نقول ان الشعب الروسي لا يحب الديموقراطية وهو بعيد كل البعد عنها لان جذور هذا النظام في روسيا عميقة جدا وتعود الى ايام القرن الثاني عشر عندما كانت الديموقراطية الروسية اسمى وافضل من ديموقراطية اوروبا الغربية".

وتابعت: "بعد موجة الاجتياحات المونغولية في القرن الثالث عشر، تحول النظام الروسي نظاما هرميا اوتوريتاريا لا كلمة للشعب فيه. ثم تحررت روسيا في القرن السادس عشر وراحت افكار الفلاسفة الفرنسيين تصل الى روسيا مع بداية القرن الثامن عشر وخاصة عن طريق الامبراطورية كاثرين الثانية التي كانت من اكثر المتأثرين بعهد

هيلين كارير دانكوس تحاضر في اليسوعية. (سامي عياد)

فرنسا الذهبي. ورغم فتح ابواب المدارس والجامعات وتشجيع الثقافة والصحافة وبروز رغبة في التغيير، كانت المشكلة هشاشة المجتمع الروسي فصعب تحصين النظام الديموقراطي".

واضافت: "ثم اتت الرغبة في التغيير من سدة السلطة، من الاسكندر الثاني، فالغيت العبودية الا انه اغتيل كالكثيرين في العصر الماضي وفي عصرنا اليوم بسبب توجهاته هذه. وامام مشهد موته المؤلم، تأثر نجله ورأى ان من الافضل ابقاء الامور على حالها فوضع حدا لهذا الاتجاه نحو الديموقراطية. لكن هذه البذور الجيدة التي نثرت راحت تزهر في نفوس الشعب الروسي وخاصة في صفوف الطلاب".

وفي ما يخص رد فعل السلطة قالت: "خافت السلطة من حماسة الشبان وقوتهم فراحت تجندهم في الجيش وترسلهم الى قرى واماكن بعيدة الا ان هذه التدابير لم تثن الشباب عن المضي قدما في مشروعهم الديموقراطي فراحوا ينشرون هذه الافكار في صفوف الفلاحين والعمال وانكسر الخوف امام ارادة الاستمرار ودارت الحوارات السياسية في روسيا مستلهمة من الثورة الفرنسية وجرى الانقلاب ووصل لينين الى السلطة".

وروت كارير دانكوس كيف انقلب الوضع مجددا في عهد البولشفية حين اتقن البولشيفيون فن الاستيلاء على السلطة.

وهكذا، دخلت روسيا عصر التوتاليتارية الذي دام 75 سنة حلت خلالها الشيوعية والسوفياتية مكان المجتمع الروسي فقطعت عليه كل صلة تربطه بالماضي اي بمطالبته بالديموقراطية".

ولم تتبلور احلام الشعب الروسي الا عندما "علت اصوات المطالبة بالتغيير في صفوف السلطة والشعب في الوقت عينه وذلك بين العامين 1989 و1990 مع الرئيس غورباتشيوف الذي اراد نظاما شيوعيا اكثر انسانية".

وشددت المحاضرة على ان "ما يميز الديموقراطية الروسية انها تحققت من دون اي مساعدة خارجية".

لكن كيف بنيت هذه الديموقراطية الروسية؟

قالت المحاضرة "ان روسيا على خلاف الصين، اختارت تحقيق الديموقراطية السياسية واهملت الجانب الاقتصادي. وعندما ادركت السلطة ان سيطرة الدولة على الانتاج قد تعيد روسيا الى الوراء فككت هذا النظام فاستولت مجموعات خاصة على ثروات البلد فيما انهمك الحكام بالتركيز على الجانب السياسي". وهذا ما يفسر ضعف الاقتصاد الروسي. وشددت المحاضرة في هذا الاطار على "ان هذا الاقتصاد قابل للاستمرار والنمو حتى ولو ببطء".

وفي المحور نفسه لفتت الى ان "الشعب الروسي اتخذ قراراً استثنائيا الا وهو عدم اعتماد مبدأ تصفية الحسابات واعادة احلال الديموقراطية في جو من الوفاق الوطني. فكان من الضروري وضع الاختلافات الفئوية جانبا للوصول الى استقرار وديموقراطية حقيقيين".

ورغم ايجابية هذا القرار سرعان ما تجلت نتائجه السلبية من خلال "فوز من كان يجب ان يساءل في الانتخابات" فاجهضت كل محاولات التصويت على قانون ضرائب وقانون ملكية لصون مبادئ الديموقراطية الحقيقية وبالتالي عجزت الدولة عن العمل بشكل سليم".

اضافت: "الاصلاح اتى لكن متأخرا وكان هذا الامر ثمن احلال الديموقراطية في جو من السلم الاهلي".

اما في ما يخص المشكلات التي يواجهها النظام الروسي اليوم فشددت على رغبة الحكام وخاصة الرئيس بوتين في الاصلاح ومكافحة الرشوة والفساد، الا ان المشكلة الحقيقية تكمن في غياب الاستمرارية السياسة: فمن سيحل مكان الرئيس بوتين في استحقاق 2008 الرئاسي مع التحاق النخبة السياسية بعالم الاعمال؟ فهذه النخبة تماما كالشعب الروسي اطمأنت لناحية احلال الديموقراطية فانصرفت الى العمل بهدف تحقيق رخائها الاقتصادي.

اما المشكلة الثانية فهي "لجوء بعض الجهات غير الحكومية الى نثر بذور الثورة على مثال الثورة البرتقالية "وثورة التوليب" في دول الاتحاد السوفياتي السابق لكي تبتعد عن دائرة التأثير الروسي واضعة بذلك حدا للوحدة الشبيهة بالكومنولث التي تجمع هذه البلدان بعضها مع البعض الآخر".

والمشكلة الاخيرة هي "ان السلطة، ولاغراض نبيلة كمكافحة الفساد، تعين في بعض الاحيان عددا من الحكام بدل انتخابهم ليكون من الاسهل مراقبتهم ومساءلتهم وهذا الامر للاسف يشكل خطرا يهدد هذا النظام الديموقراطي".

نتساءل: كيف ستحض روسيا هذا النظام الديموقراطي وتمضي به قدما؟ وهل الحل في اللجوء استثنائيا في الحالات الخاصة الى الاساليب التوتاليتارية؟

وهنا، ختمت كارير دانكوس تأكيد "ضرورة تحلي الشعب الروسي بالايمان لتفادي اي رجوع الى الوراء".